

## القاص والناقد المغربي عماد الورداني؛ الناشر المشرقى لا يثق في إبداعنا!

أجرت الحوار: منى وافيق

يعد القاصُّ والباحث عماد الورداني أحد الأصوات الإبداعية المغربية التي اكدت حضورها في المشهد الأدبي العربي من خلال منجزه المتنوع بين النقد الروائي والكتابة القصصية. ويستعد الآن لإطلاق مجموعته القصصية الأولى بعدما نشر نصوصا قصصية وكتابات نقدية كثيرة في أهم المطبوعات العربية.

يشغل عماد الورداني على مشروع الع النكري والإبداعي في صمت دونما ضجيج. حين تحاوره تحس أن يضع روح أهل شمال

المغرب الشهوريين بخفة الظل والنكتة جانباً قبل أن يبدأ في الرد على الأسئلة وكأنه أمام نص متساؤل يحتاج فأساً نقدية حادة.

■ عماد الورداني، تكتب القصة والنقد. هل أنت قاص جيد وناقد أقل جودة أم أنك ناقد جيد وقاص أقل جودة؟

■ تعرف القصة انتشارا مهما وهناك تزوج للأدباء الشباب نحو هذا الجنس الأدبي. هل هو انتشار زائف ونزوح لحظي؟ أم أننا نتحدث عن تجربة جديدة ومهمة وراثة في العالم العربي؟

■ لا يمكن الحكم على انتشار القصة الغربية سوى بدراسات علمية ملموسة تتبني في البداية على استجماع المادة ودراستها وفق رؤية واضحة، ومن ثمّ يمكنها الخوض إلى نتائج ملموسة متضمنة من الحكم على هذا الزوج كما سميت، غير أنني أرى أنه بنفس الشكل الذي ينزح الإبداع نحو القصة ينزح نحو أشكال تعبيرية أخرى كالشعر والتشكيل والنسج، ولكل مكوّن من هذه المكونات دوره في إحداث حوار جمالي بين الأجناس الأدبية، وهو الحوار الذي يمكنه أن ينتج أدبا جيدا، إن كل تجربة تحتاج إلى وقت لكي تحضر وتعيش السؤال العميق لفرض لنا في خاتمة المطاف ما يمكن تسميته حصيلة مرحلة ممتدة، تكون بمثابة الأساس الذي تنتقل منه أية تجربة مثلية، وهنا تأتي وظيفة النقد الذي ينبغي أن يواكب تطور القصة دون التحجج بغياب الأدوات.

■ في انتظار أن يصير قاص ووزير للثقافة المغربية، كيف استقبلت كتابت مغربي شابٍ تولي الروائي والمترجم بنسالم حميش الوزارة الثقافة خلفا للوزيرة السابقة تريا جيروان؟

■ إن مسألة وجود منقث ومبدع من طراز بنسالم حميش في مسألة إبداعية، ولكن الإشكال أعرق من الشخص، وذلك لأن وزارة الثقافة في المغرب لا تمتلك الأدوات الكافية لكي تقوم بمهامها على أحسن وجه، وربما هي الوزارة التي يزهد فيها السياسي والنقابي لأن ليس لها تأثير في الشأن العام، وإنما تأثيرها يشمل فئة محدودة، تلك الفئة المسكونة بحرقه الأب. وفي غياب ميزاتيات قارة تعنى بتشجيع الحراك الأدبي، وتذني على ترسيخ قيم الثقافة والحوار والتحديث وتغليبها داخل المجتمع، عوض ثقافات المهرجانات الموسمية. لا يمكن أن نطالب وزارة ليس لها قلم سياسي القيام بأعمال تتجاوز إمكاناتها المادية والبشرية لهذا على الدولة أن تتحمل مسؤوليتها تجاه ذلك، وفي انتظار أن يعاد النظر في مفهوم الثقافة وأشكال دعمها، نتمنى للوزير الجديد أن يحقق ولو جزءا صغيرا مما كان يعبر عنه حينما كان خارج سلك الوزارة.

■ إن الأدب بمثابة حديقة فسحة، تضم فسيفساء من الزهور متباينة الارتفاع، ومن ثمّة تبحث كل رائحة عن روائح أخرى لتختلط معها وتشكل عطرًا موحدا، لهذا يبقى المشترك الذي يمكنه أن يوحد هذه الصداقات هو الوفاء للادب

بكل ما يحمله من إشكالات معرفية وتاريخية وجمالية، بغض النظر عن طبيعة الإطار الذي يوحد هذه الصداقات، فعندما يكون الرابط قويا بين هذه الجماعات بغض النظر عن اتفاقها واختلافها يبدو مسالة تأسيس إطرارات غير مهمة، والكتاب يتحدث دائما عما يمكنه أن يعمق وجوده وتجربته، لهذا يلجأ إلى من يمكنهم أن يفتحوها معه نقاشا حول عوالم الأدب.

■ إن البحث المستمر هو الذي دفع بالكثيرين إلى تأسيس إطرارات ثقافية تستغل في ظروف جد صعبة، والإخلاص للادب يجعل هذه الإطرارات القفية وغير الدمعة تسعى نحو الإحتفاء بأشكال جمالية مختلفة، ونحن نرى ونسمع كيف أن إطرارات تعيش في الهامش، لكنها بانشطتها المنظمة تحرق المؤسسات «التاريخية» التي انتهت من الأدب بمفهومه الجمالي وأخذت تخوض فيه إشكالات أخلاقي ضيق.

■ أما بالنسبة لأزمة اتحاد كتاب المغرب، فلا يمكن فهمها بمعزل عن سياقها العام، واقتصد السياق الغربي والسياسي العربي والسياسي العالمي، وعلاقتها بوظيفة المنقث داخل المجتمع، ففي خضم التحولات التي عاشتها الأجيال السابقة، وتحول نمط العيش، وتدخل السياسة في بناء فعل ثقافي موجه، وفي ظل الظروف عن القراءة، وتحجيم موقع الكاتب... وأسباب أخرى، يمكن فهم هذه الأزمة التي أعاققت مسيرة مؤسسة ثقافية ارتبطت بالتثوير والتحديث، وتحولها وأزمتها هو نتاج للتحولات التي مر منها المنقث ولا يزال يعيشها، فتابعت بكثير من الأمل ما كتب وصرح به بخصوص الأزمة، وأغلب ما قيل إنما يدافع أو يهاجم، وكان الثقافة أصبحت حلبة مصارعة تصفى فيها الحسابات، قليلة هي الأصوات التي طرحت ورقة تراجع فيها دور المنقث والتي بإمكانها أن ترمم ما انكسر من زجاج البيت.

■ كل اسم مشرقي والكثيرون يخالفونك مصرياً هذا أمر طريف يجئنا إلى سؤال مهم. لماذا يدعون في المشرق والخليج النقاد المغاربة إلى ملقبات القصة ومؤثراتها أكثر مما يدعون القاصين المغاربةين رغم أن التجربة القصصية في المغرب العربي جيدة بالاتفاق حولها بحكم جدتها واختلافها؟

■ أنا لست خبيرا بثقافة المهرجانات، ربما يعود السبب إلى ربط المغرب العربي بالنقد، وربط المشرق العربي بالإبداع، المهم أن خريطة الإبداع والنقد هي غير معلومة وقابلي على التحديد، وربما هناك أسباب أخرى لا أعرفها.

■ ماذا عن مصراعات المبدعين الشباب في المغرب؟ هل تستطيع أن تحدد أسبابها الحقيقية، علماً بأن ربيع الأدب يفرغ نوزمة للجمع دون استثناء؟

■ بصرف طبيعي، لكنه عندما يتجاوز الإبداع إلى ما هو شخصي يفرغ من معناه، ولا يمكن اعتبار الصراع سبمة مميزة للشباب، هناك شرحة كثيرة تبني خطابها على الحوار والاختلاف، أما الأسباب الحقة للصراع فالتحتاج إلى متخصص اجتماعي، لأن الكاتب في النهاية هو نتاج اجتماعي نفسي تاريخي معقد، ومن ثمّة لا يمكن فصله عن المحيط الذي يعيش فيه، وهو محيط يعاني من تصدعات كثيرة شانه في ذلك شأن المجتمعات الشرقية ككل.

■ ماذا تأخر مجموعتك القصصية كل هذا بالرغم من أنك نشرت وتنتشر في أرقى وأهم الجرائد والمجلات العربية؟

■ النشر يعيش إكراهات كثيرة منها ما هو مادي، فدار النشر في المحصلة هي مقالة تراهن على الريح، لهذا لا يمكنها أن تغامر برأسمالها في عملية قد تبدو خاسرة بالنسبة إليها، وهذا يجعلنا مباشرة إلى إشكال القراءة داخل المجتمعات العربية، وهو السبب الذي يجعل دور النشر تراهن على الأسماء اللماعة، أو على موضوعات معينة ظرفية قد تثير جدلا في الشارع العربي كموضوعات الجنس والدين والسياسة، ومن الإكراهات الأخرى عامل التوزيع، ففي ظل رؤية ثقافية عربية تحد انتشار الكتاب، نظرا للحوارج التي يواجهها الناشر بدءا من وسائل النقل انتهاء بالضرائب المرتفعة مما يجعل تكلفة الكتاب عالية، لهذا يلجأ الناشر إلى المحيط القريب منه لتوزيع الكتاب مما يجعل نسبة انتشاره ضعيفة.

■ كما لا ننسى عامل الدعم، فوزارات الثقافة في العالم العربي لا تدعم الكتاب دعما كافيا، لهذا فإن الناشر العربي قبل أن ينشر العمل يضع أمامه جملة من الشروط في بمثابة انعكاس لهذه الإكراهات، وشخصيا كما قلت لك أنا ما زلت أحتلم، ولا أتوانى عن إعادة النظر في مجموعتي عن، ومشاري على ككل، ربما إذا اخترت هذه المجموعة بما يكفي ستري الزهر הזה السنة، أو السنة المقبلة، لنعد ذلك للزمن.

■ حدثني عن الشاعرات في المغرب، عن الرواية

المغربية. وعن الجماعات القصصية؟

■ كل واحد يسبح في فلكه، ويصلي داخل محرابه الخاص، يبحث عن ذاك الوهم الجميل، وهم الكتابة التي يمنحنا الطاقة لتستمر، وتتطور، الشاعرات خضن في كل المواضيع، ولا يزال ينظر اليهن كأيوات للتاريخ، وأحيانا أخرى كتحف مزيئة للمشاهد، فلما يتعامل معهن النقد بجدية، جربنا جميع الأشكال الشعرية، فبيلات أقن داخل القصيدة.

■ الرواية الغربية ليست بخير لأن أغلبها لا يخرج عما هو سير ذاتي، ولما نفتح على التحليل، الجماعات القصصية انتهت صلاحيتها، وحتى الذي لا يزال يقاوم، يشتغل بإمكانات مادية ضعيفة، ولولا حب الأدب لانتهت منذ زمن.

■ ماذا عن عوالم روايتك التي كتبها حاليا؟

■ أخشى القول بأن شيء هو مجرد حلم أعيشه، سأقول لك إنني في هذه اللحظة عاجز تام العجز عن فتح ملف «وورد»، وتسيطر هذا الحلم، أحتاج إلى مزيد من النضج، وإلى مزيد من الشغب، وسأتربها للمستقبل البعيد، وعموما هي تجربة غريبة تحكي عن شاب خائنه الدروب، وأتلف مفاح المستقبل والحاضر، وظل حبيس النكري، التي لم تسعه في الحاضر بشكل طبيعي، سافر وفي السفر اكتشف إغراقه الكثير، عمل على ترميمها، لكن الحنين إلى التربة الأصلية لم يدع له الفرصة لكي يرمم هذه الاعباب، فقرر العودة إلى تربه التي ولد فيها، وهي العودة التي جعلته يولد ولادة جديدة.

■ ما مشكلات دور النشر المغربية كما تراها أنت؟

■ دور النشر المغربية على قلتها غير حاضرة بشكل قوي في المشهد الثقافي العربي، وأغلب هذه الدور يشغط في المركز ولا يغطي جميع ربوع المغرب، وبالنسبة لنشورات دور الدور ثقي غير منتظمة لأن رسائل المقالة يكون في غالب الأحيان محدودا لهذا تلجأ إلى الكاتب كي يغطي مصاريف كتابه، تحتاج كل هذه الدور إلى صندوق لدعمها، كما تحتاج إلى لجان للقراءة تعمل على تقييم الأعمال بعيدا عن منطق الصداقات والعلاقات، وتحتاج إلى لجان إعلامية تروج للعمل وتقوم بتسويقه.

■ ماذا عن مشاريع الكتابة المستقبلية؟

■ أنا إنسان مسكون بحاضر، ومن خلال هذا الحاضر أنتقل إلى أي زمن أشاء سواء استرجاعا أو استباقا، وتبقى اللحظة هي المهمة، وفي مختبري الصغير، وأمام ركاب غير منسجم من الأتراك والكتب المكسرة والفروض المنزلية التي تكتفي بها الحياة، والتي لا أنجز أغلبها، أعتكف على كتاب نقدي يعالج إشكال الأتوني في الرواية العربية، وقد قلمعت فيه أشواط كثيرة، لا رجعة لي منها، وأغلب هذه القراءات لم يوجد في الكتاب هي قراءات عاشقة لأعمال تأثرت بها في فترات زمنية متباينة.

■ وملفات كثيرة تحتاج إلى غريبة، ونصوص قصصية مفتوحة كتبت منذ سنوات تحتاج إلى



عماد الورداني

تأمل وإعادة نظر، وبحوث غير منتهية، إضافة إلى انشغالي الأكاديمي بمشروع الدكتوراه.

■ ما رايك في التجارب الإبداعية الجديدة في العالم العربي؟ وهل ترى أن نقاد الطبقات الأولى من الكتب تعني جودتها بالضرورة؟

■ مفهوم التجربة الجديدة، هو مفهوم ملغوم لأنه فسح، والفهوم في العرف الأكاديمي يحتاج إلى ضبط وتحديد بناء على آليات ووسائل محددة، فنحن في عصر المفاهيم على حد تعبير الراحل جودا العربية، وفلسطين خصوصا، وإعابته للحياة. ومن هنا فوظيفة علم آثار من هذا النوع، ليس التتقيب عن الآثار القديمة والتعرف على هويتها، فهذه الهوية معروفة سلفاً في النص التوراتي، بل لرفعها كاستندات تخلق رابطة بين ذلك الجوهر الثابت وبين الكيان الاستعماري الذي أنشأه الغرب على أرض فلسطين وكونه من يهود جلبهم من مختلف الهويات القومية تحت زعم أنهم ورثة ما يعاصرون في أديباته: أرض التوراة، أي الجوهر التي علمت لهم باليسوعيا.

■ هذا هو موضوع الكتاب كما أجزه المؤلف، ثم حاول أن يكشف في فصوله الستة كيف كان المنقبون الأثاريون ينطلقون في تنقيباتهم من فرضيات مسبقة مستمدة من نصوص التوراة ويحاولون البحث في المواقف الأثرية عما يؤكد هذه الفرضيات ويهملون ما لا يتفق معها، للكتابة تاريخ ينسجم مع ما جاء في التوراة، فأصلح عندهم هو ما جاء من مقولات في هذا الكتاب، وليس ما تقوله المودوات واللقي الأثرية التي يعثرون عليها. وقد قدم المؤلف أمثلة كثيرة، ومعلومات غزيرة، لتأكيد ما ذهب إليه، وتدل ككرة هذه الأمثلة على الجهد الكبير الذي بذله في متابعة أعمال المنقبين ومؤلفاتهم وتصريحاتهم.

■ وفي رأيي أن ما ذهب إليه الأسعد صحيح في مجمله وتفصيله بشأن التنقيبات التي جرت في فلسطين وتكيف تاريخها، ولكنه لا يخلو من المغالعة حين نسحبه على كافة التنقيبات التي جرت في المشرق العربي. وهو قد ينطبق على عمليات التنقيب المبكرة في هذا المشرق، ولكنه لا ينطبق على التنقيبات اللاحقة إلا بقدر ضئيل، وخاصة حين تكشف للمنقبين حقائق كثيرة كانوا يجهلون بها، ولم يعد في وسعهم تجاهلها أو غض النظر عنها. وبرغم أننا لا نعتني هؤلاء من الألقاب التي عاشت فيها، وأدوار هذه الأقوام الحضارية، مثل تسمية أقوام الجزيرة العربية بالساميين، ونسبة السومريين إلى أصول خارجية غير عربية، وطس نذكر الكنعانيين ومآثرهم في بلاد الشام، وغيرها، ولكن علينا ألا ننكر جهودهم العظيمة في الكشف عن تاريخ المنطقة القديم، والألقاب التي عاشت فيها، وأدوار هذه الأقوام الحضارية، وإنجازاتها، والتعريف بلغاتها المجهولة وفك الغاؤها، ونفض غبار الزمن عن آثارها، يوم كنا نحن ما نزال نخط في نوم عميق.

■ ولستنا نسوغ جرائر هؤلاء إذا قلنا أن من الطبيعي أن يبدووا تنقيباتهم بأفق توراتي، فالتوراة هي كتابهم المقدس، يهودا كانوا أم مسيحيين، وهم مشغوعون بمقولاتها، ومعلوماتهم الأولية عن تاريخ المنطقة مستمدة منها، وقد تعلموا منذ طفولتهم أن التاريخ القديم هو ما جاء فيها وليس في غيرها، وهم جاؤوا للتنقيب وقد فرّ في أذهانهم أن هذا المشرق هو (أرض التوراة) ومسروح ما ورثه من أحداث. ولكن الحقائق التي اكتشفوها في ما بعد فاجأتهم وأرغمتهم في نهاية الأمر على الاعتراف بها بشاء أم أبوا، وخاصة حين عجزوا عن إيجاد توافقات بينها وبين نصوص التوراة، بل أن بعضهم لم يتزدد في كشف ما تركته نصوص الأقوام القديمة من تأثير في التوراة نفسها، كعالم السومريات اليهودي صموئيل نوح كريبير مثلاً.

سامي مهدي \*

■ الصديق محمد الأسعد شاعر وروائي وباحث و مترجم فلسطيني معروف، وقد صدر له مؤخرا كتاب جديد بعنوان (مستشرقون في علم الآثار - كيف قرؤوا الألواح وكتبوا التاريخ). والكتاب بحث نقدي يحاول أن يرينا أن الاستشراق الذي كتب عنه الراحل إدوارد سعيد كتابه المعروف قد امتد إلى علم الآثار فشوهه، واصطنع للمشرق العربي القديم تاريخاً غير تاريخه الحقيقي.

■ ويتكون هذا الكتاب من تمهيد وستة فصول: الأول عنوانه: كيف قرؤوا الألواح وصنعوا التاريخ، والثاني عنوانه: المشكلة التوراتية، والثالث عنوانه: طريق العطور، والرابع عنوانه: الجغرافية السياسية للثقافة العربية، أما الخامس عنوانه: السنة أم لهجات لسان واحد؟، وأما السادس عنوانه: ميلاد تاريخ فلسطين القديمة.

■ ولست أجد أفضل من الأستاذ الأسعد من يلقي الضوء على طبيعة كتابه ويخلص موضوع بحثه. يقول الأسعد إن (النص، والنص التوراتي تحديداً، لعب الدور الأكبر في إنتاج ماضي الشرق، وشرقنا العربي بخاصة، فوضع تاريخه ولغاته وفنونه وأشاره المادية في سياقات غريبة لا تنتهي إليه بقدر ما تنتهي إلى صورة متخيلة مستمدة من الموريات التوراتية. حتى وإن كان هذا الماضي أوسع زماناً ومكاناً من تلك اللحظة العابرة في تاريخه، تلك التي يفترض أنها مرحلة توراتية. وأعطت هذه الخصوصية علم الآثار في شرقنا العربي طابعاً مغلِقاً وثابتاً، فهو أخرج غير علم الآثار، إنه علم خاص يدعى علم الآثار التوراتي، لا تلمسه أي مكتشفات من أي نوع كان، ولا تغير ثوابته أي خبرات جديدة مكتسبة.

■ يمكن تصوران عنصر ما يسمونها: الرؤيا، وعنصر ما يسمونه: الإحساس بالهدف. والرؤيا هي بالطبع الرؤيا اللاهوتية: أي رؤية جوهر أصلي في تاريخ هذه الأرض لا يتغير، كان وظل على مر العصور والأحباب، تمثله مآثر شعب التوراة لغة وتاريخاً ومملكة وتوتناً... إلخ. وينظر إلى حضارات المنطقة القديمة على أنها مجرد مشتقات ثانوية من هذه المآثر. أما الهدف فهو استعادة هذا الجوهر المظوم في تلال المنطقة العربية، وفلسطين خصوصاً، وإعابته للحياة. ومن هنا فوظيفة علم آثار من هذا النوع، ليس التتقيب عن الآثار القديمة والتعرف على هويتها، فهذه الهوية معروفة سلفاً في النص التوراتي، بل لرفعها كاستندات تخلق رابطة بين ذلك الجوهر الثابت وبين الكيان الاستعماري الذي أنشأه الغرب على أرض فلسطين وكونه من يهود جلبهم من مختلف الهويات القومية تحت زعم أنهم ورثة ما يعاصرون في أديباته: أرض التوراة، أي الجوهر التي علمت لهم باليسوعيا.

■ هذا هو موضوع الكتاب كما أجزه المؤلف، ثم حاول أن يكشف في فصوله الستة كيف كان المنقبون الأثاريون ينطلقون في تنقيباتهم من فرضيات مسبقة مستمدة من نصوص التوراة ويحاولون البحث في المواقف الأثرية عما يؤكد هذه الفرضيات ويهملون ما لا يتفق معها، للكتابة تاريخ ينسجم مع ما جاء في التوراة، فأصلح عندهم هو ما جاء من مقولات في هذا الكتاب، وليس ما تقوله المودوات واللقي الأثرية التي يعثرون عليها. وقد قدم المؤلف أمثلة كثيرة، ومعلومات غزيرة، لتأكيد ما ذهب إليه، وتدل ككرة هذه الأمثلة على الجهد الكبير الذي بذله في متابعة أعمال المنقبين ومؤلفاتهم وتصريحاتهم.

■ وفي رأيي أن ما ذهب إليه الأسعد صحيح في مجمله وتفصيله بشأن التنقيبات التي جرت في فلسطين وتكيف تاريخها، ولكنه لا يخلو من المغالعة حين نسحبه على كافة التنقيبات التي جرت في المشرق العربي. وهو قد ينطبق على عمليات التنقيب المبكرة في هذا المشرق، ولكنه لا ينطبق على التنقيبات اللاحقة إلا بقدر ضئيل، وخاصة حين تكشف للمنقبين حقائق كثيرة كانوا يجهلون بها، ولم يعد في وسعهم تجاهلها أو غض النظر عنها. وبرغم أننا لا نعتني هؤلاء من الألقاب التي عاشت فيها، وأدوار هذه الأقوام الحضارية، مثل تسمية أقوام الجزيرة العربية بالساميين، ونسبة السومريين إلى أصول خارجية غير عربية، وطس نذكر الكنعانيين ومآثرهم في بلاد الشام، وغيرها، ولكن علينا ألا ننكر جهودهم العظيمة في الكشف عن تاريخ المنطقة القديم، والألقاب التي عاشت فيها، وأدوار هذه الأقوام الحضارية، وإنجازاتها، والتعريف بلغاتها المجهولة وفك الغاؤها، ونفض غبار الزمن عن آثارها، يوم كنا نحن ما نزال نخط في نوم عميق.

■ ولستنا نسوغ جرائر هؤلاء إذا قلنا أن من الطبيعي أن يبدووا تنقيباتهم بأفق توراتي، فالتوراة هي كتابهم المقدس، يهودا كانوا أم مسيحيين، وهم مشغوعون بمقولاتها، ومعلوماتهم الأولية عن تاريخ المنطقة مستمدة منها، وقد تعلموا منذ طفولتهم أن التاريخ القديم هو ما جاء فيها وليس في غيرها، وهم جاؤوا للتنقيب وقد فرّ في أذهانهم أن هذا المشرق هو (أرض التوراة) ومسروح ما ورثه من أحداث. ولكن الحقائق التي اكتشفوها في ما بعد فاجأتهم وأرغمتهم في نهاية الأمر على الاعتراف بها بشاء أم أبوا، وخاصة حين عجزوا عن إيجاد توافقات بينها وبين نصوص التوراة، بل أن بعضهم لم يتزدد في كشف ما تركته نصوص الأقوام القديمة من تأثير في التوراة نفسها، كعالم السومريات اليهودي صموئيل نوح كريبير مثلاً.

ومرة أخرى أقول: إنني أتفق مع الأستاذ الأسعد في ما



## مستشرقون في علم الآثار

يتعلق بتشويه تاريخ فلسطين القديمة، ومحاولا كتابة تاريخ آخر لها يتفق ونصوص التوراة ويسوغ انغصابها من أهلها، وتجاهل ما تكشفه التنقيبات من آثار تعترض هذه المحاولة وتعضها، ولكنني لا أتفق معه إذا ما أراد حل مشكلة هذا التاريخ بأن يجعل من سبوا بـ (بني إسرائيل) من ضمن الأقوام العربية البائدة ويوجد لهم وطناً في غرب الجزيرة العربية، كما فعل الدكتور كمال الصليبي في نظريته التي قدمها في كتابه المعروف (التوراة جاءت من جزيرة العرب) وتابعها في كتابه اللاحق (خفايا التوراة) و (حروب داود) ثم أصلها من بعده زياد مني في كتابه (بنو إسرائيل - جغرافية الجذور)، فالحل هو في حدس مزاعم ما سمي: علم الآثار التوراتي، وكتابة تاريخ فلسطين الحقيقي، وليس في أن نجد لبني إسرائيل نسبا ننسبهم إليه ووطناً لم يكن في يوم ما وطنهم.

■ أقول هذا لأنني وجدت صديقي الأسعد ميالاً في كتابه إلى الأخذ بنظرية الصليبي برغم أنه لم يقل هذا بصراحة ووضوح. فقد استشهد بها في كتابه مراراً، وقال عنها إنها وضوح الحصان أمام العربة / (227 ص) وكان متحمساً لها منذ أن كان يحضر الصفحة الثقافية في جريدة القيس الكويتية في أواخر ثمانينيات القرن الماضي. وشرقنا العربي بخاصة، فوضع تاريخه ولغاته وفنونه وأشاره المادية في سياقات غريبة لا تنتهي إليه بقدر ما تنتهي إلى صورة متخيلة مستمدة من الموريات التوراتية. حتى وإن كان هذا الماضي أوسع زماناً ومكاناً من تلك اللحظة العابرة في تاريخه، تلك التي يفترض أنها مرحلة توراتية. وأعطت هذه الخصوصية علم الآثار في شرقنا العربي طابعاً مغلِقاً وثابتاً، فهو أخرج غير علم الآثار، إنه علم خاص يدعى علم الآثار التوراتي، لا تلمسه أي مكتشفات من أي نوع كان، ولا تغير ثوابته أي خبرات جديدة مكتسبة.

■ يمكن تصوران عنصر ما يسمونها: الرؤيا، وعنصر ما يسمونه: الإحساس بالهدف. والرؤيا هي بالطبع الرؤيا اللاهوتية: أي رؤية جوهر أصلي في تاريخ هذه الأرض لا يتغير، كان وظل على مر العصور والأحباب، تمثله مآثر شعب التوراة لغة وتاريخاً ومملكة وتوتناً... إلخ. وينظر إلى حضارات المنطقة القديمة على أنها مجرد مشتقات ثانوية من هذه المآثر. أما الهدف فهو استعادة هذا الجوهر المظوم في تلال المنطقة العربية، وفلسطين خصوصاً، وإعابته للحياة. ومن هنا فوظيفة علم آثار من هذا النوع، ليس التتقيب عن الآثار القديمة والتعرف على هويتها، فهذه الهوية معروفة سلفاً في النص التوراتي، بل لرفعها كاستندات تخلق رابطة بين ذلك الجوهر الثابت وبين الكيان الاستعماري الذي أنشأه الغرب على أرض فلسطين وكونه من يهود جلبهم من مختلف الهويات القومية تحت زعم أنهم ورثة ما يعاصرون في أديباته: أرض التوراة، أي الجوهر التي علمت لهم باليسوعيا.

■ هذا هو موضوع الكتاب كما أجزه المؤلف، ثم حاول أن يكشف في فصوله الستة كيف كان المنقبون الأثاريون ينطلقون في تنقيباتهم من فرضيات مسبقة مستمدة من نصوص التوراة ويحاولون البحث في المواقف الأثرية عما يؤكد هذه الفرضيات ويهملون ما لا يتفق معها، للكتابة تاريخ ينسجم مع ما جاء في التوراة، فأصلح عندهم هو ما جاء من مقولات في هذا الكتاب، وليس ما تقوله المودوات واللقي الأثرية التي يعثرون عليها. وقد قدم المؤلف أمثلة كثيرة، ومعلومات غزيرة، لتأكيد ما ذهب إليه، وتدل ككرة هذه الأمثلة على الجهد الكبير الذي بذله في متابعة أعمال المنقبين ومؤلفاتهم وتصريحاتهم.

■ وفي رأيي أن ما ذهب إليه الأسعد صحيح في مجمله وتفصيله بشأن التنقيبات التي جرت في فلسطين وتكيف تاريخها، ولكنه لا يخلو من المغالعة حين نسحبه على كافة التنقيبات التي جرت في المشرق العربي. وهو قد ينطبق على عمليات التنقيب المبكرة في هذا المشرق، ولكنه لا ينطبق على التنقيبات اللاحقة إلا بقدر ضئيل، وخاصة حين تكشف للمنقبين حقائق كثيرة كانوا يجهلون بها، ولم يعد في وسعهم تجاهلها أو غض النظر عنها. وبرغم أننا لا نعتني هؤلاء من الألقاب التي عاشت فيها، وأدوار هذه الأقوام الحضارية، مثل تسمية أقوام الجزيرة العربية بالساميين، ونسبة السومريين إلى أصول خارجية غير عربية، وطس نذكر الكنعانيين ومآثرهم في بلاد الشام، وغيرها، ولكن علينا ألا ننكر جهودهم العظيمة في الكشف عن تاريخ المنطقة القديم، والألقاب التي عاشت فيها، وأدوار هذه الأقوام الحضارية، وإنجازاتها، والتعريف بلغاتها المجهولة وفك الغاؤها، ونفض غبار الزمن عن آثارها، يوم كنا نحن ما نزال نخط في نوم عميق.

■ ولستنا نسوغ جرائر هؤلاء إذا قلنا أن من الطبيعي أن يبدووا تنقيباتهم بأفق توراتي، فالتوراة هي كتابهم المقدس، يهودا كانوا أم مسيحيين، وهم مشغوعون بمقولاتها، ومعلوماتهم الأولية عن تاريخ المنطقة مستمدة منها، وقد تعلموا منذ طفولتهم أن التاريخ القديم هو ما جاء فيها وليس في غيرها، وهم جاؤوا للتنقيب وقد فرّ في أذهانهم أن هذا المشرق هو (أرض التوراة) ومسروح ما ورثه من أحداث. ولكن الحقائق التي اكتشفوها في ما بعد فاجأتهم وأرغمتهم في نهاية الأمر على الاعتراف بها بشاء أم أبوا، وخاصة حين عجزوا عن إيجاد توافقات بينها وبين نصوص التوراة، بل أن بعضهم لم يتزدد في كشف ما تركته نصوص الأقوام القديمة من تأثير في التوراة نفسها، كعالم السومريات اليهودي صموئيل نوح كريبير مثلاً.

ومرة أخرى أقول: إنني أتفق مع الأستاذ الأسعد في ما

## صدور « المدينة المعونة» للإماراتي سعيد البادي

أساطير الحضارات القديمة البائدة التي تركت بصماتها في أميركا اللاتينية.

ولهذه الرواية «تكهة خاصة تهر في أحداثها التي يحركها حب المؤلف للمغامرة والاستكشاف، ورغبة في تقديم رؤيته عن التداخل بين مصائر البشر واختياراتهم، والتشابك الذي يحكم مسارات حياتنا بين الواقع والخيال.

في (المدينة المعونة)، يتحمم بنا الكاتب فضاءات متعددة وثرية من الكتابة، متسلحاً بكم معرفي متراكم ومتنوع، وبلغة أنبوية ساحرة، حرص فيها على تشويق القارئ وإمتاعه في كل الأحيان، فيقدم لنا عملاً إبداعياً مميّزاً خارجاً عن نطاق التقليدية، عمل فيه على تطويع وتوظيف الحقائق العلمية والانتروبولوجية عن منطفة حوض نهر الأمازون لصالح العملية الإبداعية.

ابوظبي - من جمال الجريدة:

صدرت عن دار صفصافة في القاهرة رواية «المدينة المعونة» للكاتب والصحافي الإماراتي سعيد البادي، حيث يقدم للرائية عملاً أدبيا مبنيا في الأساس على وقائع حقيقية في إطار روائي متخيل لتجربة عايشها المؤلف عبر تجاربه الشخصية خلال رحلته إلى أمريكا اللاتينية التي أخذته إلى البيرو وبوليفيا ومدن ومناطق منسية في ذلك الجزء من العالم، الذي لا يزال مجهولا وغامضا بالنسبة للقارئ العربي.

تدور أحداث الرواية في قرية منسية على حافة العالم، حيث غفوض عوالم الأمازون الطبيعية والبشرية، وحيث فضاء الغامرة الذي يطرفه بطل الرواية، ليعبر بنا إلى عالم مفعم بالفخوض



